كلية الآداب واللغات

قسم الفنون

السنة الثالثة فنون درامية/ السداسي الخامس

مقياس: نقد مسرحي حديث ومعاصر

المحور الثاني: المناهج النقدية الحديثة في المسرح

المحاضرة رقم 07 بعنوان:

" مقاربة التحليل النفسي للشخصية المسرحية "

ظهر المنهج النقدي النفسي بوصفه اتجاها معرفيا في مطلع القرن العشرين، متزامنا مع تأسيس علم النفس التحليلي على يد سيغموند فرويد، وصدور مؤلفاته الأساسية وفي مقدمتها تفسير الأحلام، ذلك العمل الذي كشف عن دينامية الجهاز النفسي القائم على ثلاث قوى: الأنا، والهو، والأنا الأعلى، وأبرز أثر اللاشعور في سلوك الإنسان وأنشطته المختلفة، إضافة إلى تحليله للعقد والأمراض النفسية مثل الانفصام والنرجسية وعقدة أوديب.

غير أن الجذور الأولى للتيار النفسي في الدراسات النقدية تمتد إلى عصور أبعد، فقد التفت أرسطو، على سبيل المثال، إلى الصلة القائمة بين الأدب والنفس الإنسانية، ومنح المأساة وظيفة نفسية سماها 'التطهير'، قاصدا بذلك أن مشاهدة المأساة تُثير في المتلقي عاطفتي الشفقة والخوف، فيتخلص منهما، فيحل

الاعتدال محل الإفراط والانفعال الحاد. كما يُعَد الناقد الفرنسي سانت بيف من أهم الممهدين لظهور المنهج النفسي، لربطه حياة الأديب وشخصيته بإنتاجه الأدبي، ومناداته بأن فهم الأديب يساعد على فهم نصوصه فهما أعمق.

وقد شكل تفسير فرويد لرواية الإخوة كرامازوف مثالا بارزا في تطبيق التحليل النفسي على الأدب، إذ فسر الرواية في ضوء عقدة أوديب، رابطا بين مقتل الأب في الرواية ومصير والد دوستويفسكي. كما استدعى النقد النفسي مسرحية شكسبير هاملت، ففسر تردد البطل وغموضه في ضوء العلاقة المعقدة بعقدة أوديب، ورأى أن هاملت يكبت عاطفة محرمة تجاه أمه، ولذلك يعجز عن قتل عمه لأن ذلك يُشبه قتل الذات، فيظل متأرجحا بين الإقدام والإحجام، متذرعا بالجنون للتهرب من واجب الثأر.

ويمكن القول إن للمنهج النفسي حضورا في النقد القديم؛ فقد تحدث أفلاطون عن عملية الإبداع، وربط أرسطو الوظيفة الجمالية بالأثر النفسي، كما قدم سانت بيف مقاربة نفسية لشخصية الأديب من خلال سيرته، واهتم النقاد القدامى بالعاطفة والخيال والانفعالات دون توظيف أدوات التحليل النفسي الحديثة.

أخذ النقد النفسي شكله المنهجي المنظم في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر، عقب التطور الذي شهده علم النفس مع ظهور التحليل النفسي على يد فرويد وتلامذته مثل ألفرد أدلر وكارل يونغ. وقد استلهم فرويد أفكاره من الفلاسفة والفنانين، وقسم الجهاز النفسي إلى ثلاثة مستويات:

- **الأنا الأعلى** :مجال المعايير والقيم الاجتماعية والأخلاقية التي تنظم سلوك الإنسان.
- **الأنا** :منطقة ما قبل الوعي، mediatingبين الهو والأنا الأعلى.
- **الهو** :منطقة اللاوعي، وهي مخزن الرغبات والميول البيولوجية، وتوجهها غريزتان أساسيتان: غريزة الحياة إيروس، وغريزة الموت ثاناتوس.

وقد عدل فرويد نظريته لاحقا، معتبرا أن الليبيدو (الطاقة الجنسية) هو الدافع الأعمق للسلوك الإنساني. وانطلاقا من هذا التصور، رأى أن الإبداع الفني هو إشباع للرغبات المكبوتة، وأن الأدب تجل من

تجليات اللاشعور، متناظرٌ مع الأحلام باعتبارهما مظهرين لعمل النفس العميق. ولهذا ذهب د. هـ. لورنس إلى أن 'الأديب يبذر مرضه في كتبه'، مما يجعل الناقد بمثابة محلل نفسي يستكشف الدوافع اللاواعية والمكبوتات.

ويُسهم علم النفس كذلك في صقل وعي الفنان بالواقع، وتعزيز قدرته على الملاحظة، واكتشاف صيغ تعبير جديدة. غير أن الصدق السيكولوجي لا يُعد معيارا فنيا إلا إذا كان مندمجا في العمل ومؤطرا قيميا وجماليا.

وقد استفاد النقد المسرحي من المنهج النفسي في تحليل الشخصيات وتفسير البنى الدرامية. فبإمكان الناقد أن يحكم على نماذج الشخصيات من حيث اتساقها النفسي، وأن يفسر المواقف الدرامية بناء على مفاهيم نفسية معاصرة أو تقليدية. وتندرج في هذا الاتجاه قراءة ليلي كاميل لشخصية هاملت على أنها نموذج 'الرجل الدموي المصاب بالمِلانكوليا'، وقراءة أوسكار كامبل لشخصية جاك في كما تحبها على أنها حالة من 'الملانكوليا غير الطبيعية الناتجة عن اختلال جسدي'. ومثل ذلك أيضا محاولة تفسير شخصية والتر شاندي على أساس مرض التداعي اللغوي.

كما قدم نيتشه قراءة نفسية جمالية في كتابه مولد التراجيديا (1872)، حينما ميز بين مبدأي 'أبولو' و'ديونيسوس' اللذين يمثلان حالتين نفسيتين: الحلم والنشوة، وما يقابلهما من أنماط فنية. كما صنف عالم النفس الفرنسي ريبو أنماط الخيال إلى 'الخيال التشكيلي' المرتبط بالملاحظة البصرية، و'الخيال المنساب' المتصل بالعاطفة والرمز.

أما التمييز بين النقد النفسي والنقد النفساني، فيتأسس على أن الأول يقوم على التحليل النفسي للكشف عن الدوافع اللاواعية، بينما يهتم الثاني بالعاطفة والانفعال والخيال دون اللجوء إلى منهج التحليل النفسي الصارم.

ويرتكز المنهج النقدي النفسي في العمل المسرحي على المبادئ الآتية:

- اعتماد عنصر الحلم إلى جانب مقولات علم النفس في تفسير البنية المسرحية وبرمجتها الدرامية.

- ضرورة الإحاطة الدقيقة بشخصية المبدع وتجربته الفكرية والوجودية، لأن ذلك يساعد الناقد على النفاذ إلى خفايا العمل واكتشاف أسراره.
- إيلاء اللاوعي أهمية محورية في تفسير النص المسرحي، بالنظر إلى أن العمل الإبداعي يحمل شواهد دالة على عالم المبدع اللاواعي.
- سعي الناقد المسرحي إلى استنباط الصراعات والصدمات التي مر بها المبدع، وتحليل أثرها في تشكيل النص وأسلوبه وشخصياته.

المكتبة البيبليوغرافية:

- ستانلي هايمن، النقد الأدبي ومدارسه الحديثة، ج1.
- دومينيك فولشيد، المذاهب الفلسفية الكبرى.
- عاطف العراقي، ثورة النقد في عالم الأدب والفلسفة والسياسة.
- عيد الدحيات، النظرية النقدية الغربية: من أفلاطون إلى بوكاشيو.